محمد قرنه

ملامح واضواء عن حياته وشعره

دكتور على الخطيب الشطورى

تحدثت فى مقال سبق عن ديوان الشـــاعر محمد قرنه (فى تيه الحياة) وعود الى ما سبق نطوف مع الشـــاعر فى سراديب ذلك النفس الذى ظل يعـاود فيه نظره ويكر فيه فكره وتأمله نلاحظ ذلـك فى طول الديوان وعرضه . بيد ان هناك بعض الظواهر الفنية تلح على القارىء او تستحوذ نظرا هدفنا حاول ان ابسطها فى يسر .

من أولى تلك الظواهـر التى تضرب على دفتى الديـوان بظل وارف نظرة الشاعر الى الحياة والاحيا . فهو لا يفتأ يعلل لنا الوجود والعـــدم ويهيم الرء بينهما . ولعل تلك النظرة قـد خاض فيها شـــعراء كثر خاصة فى تلك الفترة القاسية من حياة أهل الشرق العربى . حيث راح الشعراء كما سبق ان تحدثنا آنفا .. يتقوقعون داخـــل ذواتهم بعد ان خالوا على مصائرهم من عتب السياسة وهوه السياسة . وراحوا يناجون الطبيعة وشجونها لواعج آلامهم وحزنهم . ولعل شعراء المهاجر نمط أصيل ونموذج رائع لهؤلاء الشعراء . الذين كتموا فى الطبيعة ما يعـانون منه مافى أنفسهم من ألم وشكوى .

ويروح الشاعر قرنه فى قصيدته (الى الوجود) يحدث صاحبه ان يتجاوب مع حياته غير مكترث بما حوله لانه ليس له الا ساعته التى هو فيها .. وهى اولى قصائد ديوانه يقول :

هونـا بنفســـك هونـا ... لا تفن نفســـك حزنـــا
لا يحفـل الدهـر منا ... ح فى الورى او تمنى

مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الرابع، مطبعة الأمانة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م

يكاد يبسم سخرا ... من من سعى أو تمنى
يكاد ولا رياء ... يحجب الصدق عنا
لو كان يسمع صوتنا ... لنا ويفهم معنى
اذا سخرنا من الكـ ... ـون والوجود ومنا (١)

و روح يعدد مافى الحياة من طواهر تخدع الساذى كما يراها فالصداقه مراء . والجمال ستار يحجب حقيقته القبيحة عن الناس والغرام فترة وينتهى كالزهر حين يذبل والحقيقه وهم والحياة خيال وهى مرايا تعكس صور الناس كما هى قبحا وحسنا يقول :

أين الصديق ؟ مراء ... يبتاع بالرد منا
وما العدو ؟ حقود ... قد يكتم الحقد جبنا
وما الجمال ؟ ستار ... يحجب قبحا حسنا
وما الغرام ؟ زهور ... تضوع حينا وتفنى
وما الحقيقة الا ... وهم يوشى علينا
وما الحياة ؟ خيال ... يمضى ولم يشف جفنا
ان الحياه مرايا ... تصور قبحا وحسنا
ترينك لونك فيها ... وليس تملك أونا
فغن وارقص وعربد ... فاز الذى قد تغنى
واضحك كما يضحك الكو ... ن سخرية ثم يفنى

وفى حوار مع ذاته يحاول الشاعر أن يرى نفسه بين عواج الحياه المتلاطم ففى قصيدة (انا والحياة) ينادى الشاعر ذلك السر المحجب عن ذاته حياته التى ضل فى فهمها العقل والقلب يقول : ـ

نادينا صوت لمس ثم محجب ... ان دساك كنهها محجوب

---

(١) ديوان الشاعر ـ مخطوطه بمتبته ورقه رقم (٤)

ان سر الآبـــاء يســـتره ـ يا صوت ـ ليل من الغيوب رهيب
ان لغـــز الحيـــاة سر خفى ضل فى بحثه الحجى والقلوب

وهو يؤكد أنه لا مجيب لتساؤله ولا مرد لصوته الا صداه :ـ

ناد او لا تنادِ ما صـــوت ما ثمـــ ـت الا الصـــــدى عليـك مجيب

ولكن يجيئه صوت نفسه من عالم الخلد ليقول له : ـ

هل صوت من عالم الخلد آت عاهض واصـــح بعيـد قريب
انست فى الحس غير فطرة ماء فى حضـم من الحيـاة نجوب
خلقت من مائعـه ونـداه وعى فى موجـه العبوس تذوب
دفعتها ســـائم الامن الســـا رى وريح من الخطوب عصوب
وحداها التيار نحو ســـبيل ليس يدرى عقباه الا الغيوب
كم تأخر وكم تعـدت وكم جا زت عليها وكم عدتهـا الخطوب
ثم تمضى الى المحـــات ولـــكن هى من عالم الحياه قريب (١)

ويعاود الحنين نحو البحث عن ذلك السر المحجب فـــيروح يتلمس ذلك السر لدى الليل ، وقد ارخى سدول ظلامه على الوجود ليقول له : ان نظام الحياة وسنن الكون من وضع الله العلى الكبير وهى مما لا يسبر غوره ، او يستكنه كنهه من عقول بشرية قاصرة ، فيقول فى قصيدته (السر) :

همس الليـل لى بسر الوجـود فى الدجى بين يقظـة ورقـــود
ان بجنب المجيب ما انت ترجو من زمان وغد وعيش ســـعيد
ليس يصفى الدمعه من حزين ترتجيـه أو غيره من عميـــد
ســـنن الكـــون لا تزيغ ولا تمحى لوعد أو رهبه أو وعيـد
انمـــا الكـــون آله لا تبالى بشـــقاء يصيبكم أو ســـعود
كل سر الحيـــاه : عقل كبير ونظـــام كالصـــخره الجلمود

---

(١)ذاته ورقه رقم ٦ .

وفى قصيدته (شكوى ابليس) يصور الشاعر ابليس محزونا يئن من هـذا القدر الـذى كتب عليه أن يذنب ثم جازاه على ذنوبه ويتمرد على هـذا القضاء الذى ابتلاه أن يعيش مغررا بالناس مزينا لهم القبيح حسنا ويغريهم باقتراف الذنوب وارتكاب الآثام وهم لا يحتـاجون الى تغرير وتزيين حيث ان الشر يكمن فى نفوسـهم ويستقر فى افئدتهم منذ الأزل الى الأبد : فيقول : ـ

سـمعت ابليس فى الظـلام يئن من وطـأة الشـجون
الام أغـوائى الأنـام والنـاس ـ كالبهم ـ رابعون
الام اغـوائى العبيـد أسرى الأمـانى والخيـال
لم ألق فى الناس من رشـيد أعزيـه بالافـك والضـلال

وهو يعزف ـ فى قصيدته ـ على الأوتار نفسها والتى كان قد انتهجها فى جل قصائده فى فكرته عن الوجود والعدم ومهمة المرء بينهما وموقف الانسان من الخير والشر فيقول فى صورة ساخرة على لسان ابليس : ـ

أليس مـن ضـلة العقول وخدعـة الدهـر والوجـود
مقيـد غـل بالكبـول يهفـو حنينـا الى الخلـود
عاتـوا ملاكا مـن السـماء أغريـه بالاثـم والشرور
لا عالمـا غلـه الفنـاء يسـعى الى مطلب حقـير)

ويصور شاعرنا ابليس اللعين فيلسوفا حكيما يقنع شـاعره بأن الحياة هى أصل الآثام ومنبع الذنوب فلا غروى أن يكون فيها من الجناة . وفيها الشر الى جانب الخير . وقد خلق الله الشر لحكمة يعلمها وبهذا صار الناس أداة فى مسرح الكون الكبير فيقول : ـ

(لا تلمنى بـل لـم الحيـاة فى فعلهـا الخـادع العجيب
ان كنت فيهـا من الجنـاة فانهـا منبـع الذنـوب

الشر والخير للحياة وكلاهما فيها من القدم
لسنا ولستم سوى أداة في مسرح الكون والعدم
لن يبلغ العالم الكمال يوما ولوجد في المسير
وكلما ازداد في الفضال ازداد في الاثم والشرور
لم يخلق الشر من براه الا على حكمة وعلم
فأي اثم جنى الجناة والدهر أصل لكل اثم)

ويختتم قصيدته على لسان ابليس الذى يصور نفسه بانه رسول الشر للحياة والأحياء والشر مخلوق وموجود وكل دوره الذى يقوم به أنه يزينه للناس ، ويغريهم بارتكابه ولم لا والعالم كله يسير الى الشر الذى هو الفناء والخراب يقول : -

عجبت للدهر والايام في عالم كله عجاب
أيخلق الشر والأنام والناس يجزون بالعذاب
أيخلق الشر في الوجود ويمنع الناس من ورده
يراه في أنفس العبيد فأي ذنب لدى عبيده ؟
أسير في الكون ، لا أنيس الا الأماني والفكر
يثيرها خاطر عموس تؤج بالنار والشرر
أبرز من حجى المصون أنظر للكون من بعيد
فالح الناس يرتعون والموت المكل بالوصيد
أنا رسول من الحياة أدعو الى مورد الشرور
يحسني بعض الهداة وكل أقوالهم غرور
يختصم الناس في الوجود وهم يسيرون للتراب
للشر لا للهدى والخلود وموئل العالم الخراب (١)

---

(١) ديوان الشاعر - مخطوطة ورقه رقم ٨

وفى قصيدته (قلب الشاعر) يروح الشاعر « قرنه » يفتح لنا قلب الشـاعر ليرينا كيف انه عب من أفاويق الحب وارتشـف رحيق الجمال مما جعل طينة تختلف عن كثير من البشر حسا وشعورا ورقة . ولا غرر فى ذلك فهو يعيش فى الناس بروحه لا بجسده ، مما يجعله بين الناس خالد الفكر مهما يكن من عيشة العسر ورزقة القليل وهو يصـور ذلك كله على لسان نبتة صغيرة تمنت أن تكون زهرة ، تطير الى الفضاء حيث رحـابة الأفق ، وعبير الانام والحقيقة الكبرى يقول الشاعر : -

قالت النبتـة الصـغيرة يوما ... وهى تهفو الى حياة الفضـاء
ايه ما اضيق الحيـاة وأقسى ... ما ألاقى فى العيش من بأساء
لا يد انى الضـيا وكرى الا ... فى سـبيل ملتفه عوجـاء
سماريا فى الغضون يرجو طريقا ... لى حتى يصـير كالظلمـاء
أين أين النسـيم أمرح فيه ... كمرح الاسـماك بين المـاء
ليتنى زهرة تضـاحكنى الشـمـ ... ـس بوجه محجب بالضـياء
ويميـل النسـيم منى قـدا ... حين يسرى مهفهفـا بازانى
وأدى من حقيقة الـكون مالا ... أبصر فى سـتور الخفـاء

فاسـتجاب الاله منها دعاء ... وغدت تزهو بدنيا الفضـاء
نظرت للسـما نظـرة عجب ... واحست بعمق تلك السـماء
ودنا نحوها النسـيم كما يد ... نو محـب من حبـة فى نجـاء
وزهت فى عوالم النور تشـوى ... وارتـوت من هوابط الاندـاء
وصفت للصدى المردد من أنـ ... ـحان تلك الطبيعة الحسـنـاء
ورأت من حقيقة الـكون مالم ... ترمن قبل فى سـتور الخفـاء

ثم هبت عواصف الكون تسطو ... فرمتهـا للترب نهب الفنـاء
فرثت ثم صاحبات الصـبابر ... فلن فى بهجه وفى نعمـاء
لم تؤثر فيهن هوج الأعاصـير يحطـم أوشـ ـقوة أو فنـاء

نخذوا ضـــــعفهن ،بها وفـاء وهـو حينـــا يقـــول خـير وفاء

طفقوا يعـــذلونها اذ رأوهـــا تتـــردى فى ســـكرة الاعيـاء
فـأجبتهـــم : دعونى وحـدى أجرع اليوم محنتى وشـــفائى
لســـــت آسى على الحياة فانى قد جمعت الحيـــاة فى حدقاتى
ضاعه فى النسيم والنور حـر من لف الأعوام فى الظلماء(١)

وتأتى هذه الخواطر التى تلفت نظر القارئ لديوان الشـــاعر « قرنة » (فى تلك الحياة) هى الوطنية الصادقة فى زمن كانت الوطنية جريمة والحرية حرما . وكلمة الحق قذى فى العيون . فالدولة محتلة من أجنبى . ولاقانون ولا دستور الا ماتريده المستعمر ،والأجنبى معزز والمصرى مهان . ولا صوت يعلو الا فى تمجيـــد الأجنبى والقصر . الليل الا بعض الأصـــوات الخافتة التى تهمس من هنا ومن هنـــاك تنادى بالحرية والاستقلال فصلا عن كثير من الحواجز التى تجثم آلامها وعيطها بصدرها ن بلادها . فهى تروح تعبر عن ثورتها وحنقها فى مناجاة الطبيعة الصامتة والألم الممض .

وضمن تلك المناجاة نجد الشاعر « قرنة » يناجى (البوق ، الذى هو رمز النضال والكفاح متمنيا سماع صوته الذى شاقه واحبه يقول .

يابـــوق يا صرخة البـــــلاد اقطع بنى الليل للنضـــــال
لتدو فى الســـــبل والوهاد لصـــــح ذلا بمصر طـــــال

ادو وهيى، لنـــا الحـــرية شـــاقتنى النـــار والدماء
أوقـــد بأضـــــلاعنا اللهيبا مصر تحطـــو الى الفنـــاء

كم درة تحـــــن لا نراهـــا جميعهـا صـــوتك الغضـــوب
قد فـــاض بالحنـــين جانباهـا ومـــاج فى صـــدرها اللهيب

---

(١) ديوان الشاعر مخطوطه بمنزله رقم ١٢

كم ذرة من دم الشـــــاب مكتومة من عهود (خوفو)
موج فى الانفس العضـــاب دوى بها صـــوتك المخيف

كم ذرة فى فـــؤاد مصرا مازجت الروح والضـــميرا
ثارت بـــروح البـــلاد سرا ثم دوى صـــوتها جهـــيرا

- تقول مناجيا البوق :

ابوق حـــدث عن الضـــحايا تســـير فى ركبها الرهيب
منـــاك ، لا قوة المنـــايا تغلب ، لكن قـــوى القلوب

حـــدث عن الحرب اذ تثـــور وصـــولة النـــار والحديد
فى طيها المـــوت والقبـــور وفوقهـــا يغـــرس الخلـــود

حدث عن الشـــيب والشـــبابا بعـــدوهم كالورد صـــداكا
صـــاروا الى المـــوت والعذاب لمـــا دوى بينهـــم نـــداكا

حـــدثوا ربى مصر بالجســـوم وروووا النيـــل بالـــدمـــاء
عدوا قوى الظالم الغشـــوم بقـــوة الـــروح والفـــداء

أضـــلاؤهم ثم فى الســـهول يحملهم النيـــل فى خطاه
نامت عـــلى يانع الحقـــول ينفعهـــا الورد من شـــذاه

رضـــوا من العيش بالخلـــود واستبدلوا المـــوت بالحيـــات
ضحوا يعيش الصبا السعيد قربى عـــلى مذبـــح الاله

بابوق ياصرخة النشـــور أيقظ الى المجد شـــعب مصرا
نسير للموت فى حبـــور حتى تفـــك القيـــود قسرا

نحيـــى وكنما صـــداك يـــدوم مادامت الحيـــاة
الدهر يسرى عـــلى هـــداك فانه من هـــدى الاله

انت صـــدى الموت والحياة وصـــورة الخلد والفنـــاء

دمـــوك سرنا على عـــداه فانه من عدى السمـــاء (١)

ولكن البرق لا جسمه نيكتب ويجتر آلامه وهو يرى وطنه الجريح مصر ، يهوى الى قبر سحيق بخطى رتيبة فيروح يودعها ناعيـــا اياها متحسرا على اولئك المفرين الذين ذاقوا المســـتعمر بعد أن تناهت اليهم انباء الرياسة والزعامة وصاروا سيفا مصلتا على رقاب اخوانهم يقول : -

وداعا وداعا (أرض ايزيس) انما خطاك الى القبر السحيق المحجب
سترتن بالام الخلـــود الى الردى وتخطـــين وئيدا للقضـــاء المغيب
عزلت وجفت منك دوحاتك التى سمت فوق هامات المؤشـــب
روتهـا دماء للشـــباب عزيزة وليس الذى تروى الدماء بمجدب
بمينا ذراعا فوق أشـــلا ميت وآلام مقتول وشـــكوى معذب
وداعا - أيا أرض الخلـــود - فانما أذلك تحنـــان لمال ومنصـــب
وقوم تصـــدى للرياســـة كانهم يسيرون نحو المال فى كل مطلب
تـــاوا نفوسا فى الشباب عزيزة وداوا عـــاد فى عرينك أجدب
وساروا وراء الوهم تكوى ظهورهم سياط شـــداد من رجاء مخيب

وداعـــا وداعـــا لنهضـــة نخوض بها بحر الـدم المتلهب
ويحمل ماء النيل أشلاء لحمنـــا ويسبح فى برد من الدم يذهب
وترفع صرح المجد فوق قبورنا وفوق أساس من دم منصـــب

وء لى لسان جندى فى الحرب يرسل الشاعر « قرنه » رسالة (من ميدان الموت) ولعل هذا الميدان هو ميدان خيال الشاعر الثـــائر المتمرد الذى يتصور بلاده فى حلم جميل ، بلاد الخلد التى صمدت للغوادى والغير من عهد الفراعنة ، ويتصور نيلها السعيد ووديانها الذى ضاق يعســـف الاحتلال ويضعف أبنائه فى الدفاع عنها ويؤكد فى نهاية حلمه الذى سرعان

---

(١) ديوان الشاعر ورقة رقم ٢٥

ما يستيقظ منه أنه يذود سوف يزود عنها حتى الموت وعلى أشلائه سيرفع بناءها وسيعلو بها رغم العوادى والخطوب يقول :

طاف بى الحلم بهيجا مثلما ... رفرفت فى الفجر ألوان السحر
خاض نيرانا وموتا ودما ... وعنا تحدوه أطياف الصور

صور من عالم النيل السعيد ... حتى يسرى ناعما كالحلم
هادئا يجتاز صحراء الوجود ... حيث يفنى فى محيط العدم

كم هززناه بألحان وعود ... وشدونا بأفانين الغناء
فسمعنا منه ألحان الخلود ... ورأينا منه دنيا من ضياء

صور من أرض مصر والسماء ... خرت لى بطين طيات الخيال
فكساها الحسن ثوبا من ضياء ... وكساها الخلد ثوبا من جلال

شادها الأجداد منذ القدم ... فغدت شامخة - مثل الهرم
قد بنوها بلحوم ودم ... وبروح ذهب طى العدم

شيدوها فوق آلاف النفوس ... وبنو أساسها فوق الدماء
كم لقوا فى مجدها الحرب الضروس ... تتلظى الأرض فيها والسماء

أين وادى النيل من وادى الجحيم ... أن دنيا السحر من دنيا العدم
أين ماء فى ربى مصر يهيم ... من دماء غرقت فيها الأمم

شد ما ضاق بعسف الاحتلال ... وتضعف فى ابنه الحر القدير
كان من جبن عرانا وهزال ... يغلب الضعف عليه فيغور (١)

بث فى روحى للعادى العداء ... ومضى ينفث فى الخطيا
فتخال الماء بلى كالدماء ... والرحيق العذب يجرى لهبا

ايه يا نيل ، ستبقى فى السماء ... وستسمو فوق أطباق السحاب
سوف تبنيك على أسى الدماء ... وستعلو فوق آلام الرقاب

---

(١) يريد أن الماء فيه قد أوشك ينضب

أنا جزء منكك فى كف القضاء سوف أعلو فوق آلام الخطوب
أو لم تمش بقفر الصحراء فغدت مطمع آمال القلوب

أنا جزء منك حى منلما أنت جزء من قوى الله القدير
ذعرة جاشت فصارت بى دما ثم شفت فغدت روحا تمور(١)

وثالث هذه الظواهر التى يحتويها ديوان الشاعر بين دفتيه هى موقفه من المرأة - وقد تقصيت على حياة الشاعر العائلية - وقت كتابة ديوانه فعلمت أنه كان عذبا لم يدخل دنيا المرأة فلم يكن عجبا أن نراه يرى المرأة ملاكا يرف بجناحين من طهر ونقاء ، ولاغرو كذلك فهو الريفى الذى نراه يقدس الحب الشريف الذى يرى فيه روحا فى جسدين وهو ثائه الملب محير العقل ينادى ليلاه أن تشرق فى حياته بعد ما أشرقت فى نفسه روحا فديا شفافا يقول فى قصيدته (فى تيه الحياة) :

ليلاى أى بلاد الله موطنها ؟ ففيها ثائه التفكير مضناه
ان ابتساما على الافواه يخدعنى أين ابتسام على الأفواه أهواه
انى لأبحث عن ليلى لتشرق لى فجرا على القلب يهديه ويرعاه
أرى بها العين مثل الخلد متشحا ويبرق النور متانا بمرآه
أذيب قلبى دموعا حين تغضبه وأنزع القلب بشرا حين ترضاه
واجعل القلب فيها مجمرا عبقا يفوح بالشعر ان هاجت حناياه
عندى القريض وفيها الحسن أجمعه ان القريض صدى منه ومعناه
تجاورا منذ آباد الزمان وقد سقتهما من معين الروح أمواه

ولعل ليلاه قد أنعمت عليه فمنحته طرفها دعوة للحب فرأى فيه عالمه العلوى يقول : -

---

(١) ديوان الشاعر مخطوطة بمنزله ورقة رقم ٣٦

دعتنى بعينيها فليت للهـــوى طروبـــا وان لى فؤادى مرغمـــا
بهمس كهمس الأمنيـــات محبـب يؤرق منى الروح والجسم والدما
كانمـــا المنظـار أنظر فيهمـا خيال الأمانى الفاتنات مجسـما
أرى العالم الأعلى لطيف شـخوص على صـفحة العينين وهما مهموما
فاحسست أنى أعبرالعيش صاحيا وانجميع الناس يمشون نوما (١)

والحب نفحة ربانية لايكاد يخلو من تنسمها انسان ، وأجمل ما فى الحب أن يكون متبادلا والمأساة فيه ألا يودك من تهواه • الحب نفحة روحية فهى بغيره قيد ثقيل ، وجمود وموات ، فيخيل الحياة عمرانا وسعادة وهو يبدأ باحساس •

والحب عند شاعرنا حياة سرمدية حافلة بالنور والخير والجمـــال والمرأة بالنسبة للرجل عنصر من عناصر هذه الحياه وهو لهـــذا يبهره موقف قيس بن الملوح فى مسرحية (قيس وليلى) للشاعر أحمد شـــوقى وبخاصة ذلك الموقف الذى كان قيس فيه مغمى عليه فى صحراء الجزيرة واذا به يفيق على صوت مناد ينادى باسم ليلاه حين يقول شوقى : ـ

ليـــلى منـــاد دعى ليـــلى فهب له نشوان فى جنبات النصـدر عربيد

فيروح شاعرنا يسأل قيسا عن ذلك الذى ثار فى جنبات صدره حين سمع باسم محبوبته قائلا : ـ

بادى بليلى وقـد ضـلت به البيد وشـفه سـقم فيها وتسـهيد
والأرض مقفرة جدبـــاء كللهـــا صخراله فوقوجه الأرض تخديد (٢)
لا يحبس العين فيهـــا منظر بهج ومـا ترنم فى أرجائهـــا عـــود

---

(١) ديوان الشاعر مخطوطة رقم ٤٥
(٢) تخديد اى تشقق

لا يمسك الطرف فيها حين ترسله ... الا كثيب على الآفاق ممدود
موارة الرمل مطموس معالمها ... وللمنايا عليها أعين سود
نادى بليلاه والدنيا تضلله ... فكاد يبكى له الصم الجلامید
مشرد فى فيافى البيد مغترب ... قد آده غربة فيها وتشريد (١)
نادى بنجمته والبحر مضطرب ... والليل معتكر والنجم مرمور
فما ام بها من صوت طالبها ... الا بقية أصداء وترديد
الا صبابة أنات قد اندثرت ... كانها خاطر فى الذهن مكدود
لو قد أصاخت الى نجواه لا نفلتت ... من أسرها يحترها الليل والبيد
لو قد أجابته فى دعواه لانتعشت ... فيه الحياة وغنته الأعاريد

ويروح يذكى قيسا فى نهاية قصيدته ، وأن ما فعله لم يكن وهما ولا ضلالا وانما هو روح شفافة محبه أخصلت للحياة فى حبها فحبتها الحياة ظلا سرمديا يتردد ذكره مع ذكر الشفافية الطهر والعفاف بين الأحبه فيقول مناديا قيس : ـ

يا قيس لابل فكن فى الحب واحده ... شوق ونقى واعمدار وتسهيد
طرفى بساتين هذا الحب واشد بها ... ان الحياة بغير الحب تقييد
ان الحياة بغير الحب لو خلقت ... لطار عنها كبار الأنفس الصيد
ولا الغرام ونفس فيك تعشقه ... ما صان ذكرك عند الناس تخليد
ولا الغرام الذى تصلاه لانطمست ... آثارها وطوت أشعارك البيد

ولعل شاعرنا لم يصادف هواه الذى أحب بل رأى الحب فى زمنه اغراء وفتنه وتهالكا على ملذات ، فراح ينعى حظه فى دنيا الحب الذى لا يرى فيه سوى ، لذه واغراء وتهتك وهو لا يرى منه سوى فناء وطهرا وتعفف فيسطر قصيدته (الى المرأة) قائلا لها : ـ

---

(١) آده أى أثقله

اغربى أنت عن عيـــونى وروحى ... سـئمت نفسـنا مطايب نفسـك
قد صحت مقلتاى من خدع الأحـــ ... ـلام لمـا رأت مثـالب رجســك
ينظم الشـــاعرون فيك الأمـانى ... ويجوبـون فى هياكل قدســك
وبراك المحـب ربـــا من الخلو ... د تجلى على تجاليـــد حســك
كـذب الشـــعر مـا جمـالك الا ... نزوات للاثم تطفـو برأســك
ليس هـــذا الجمال الا ستـــارا ... لشرور الـذى تجول بحدســك
لاتدانين غير من يعبـــد الجســـ ... ـم ومن تطبيـــه أدران رجســك
وعنا الساعر المؤله يشـــفى ... بالضياء الذى يطوف بشـمسك

قد رجـــوناك حينما كنت ربـــا ... تخشع الروح فى هياكل قدســك
لاتســـاوين أنت صرعة عجـــر ... فى فراش الفنى ولا كم جنســك

ولعلنا نستبين مذهب الشاعر فى الحب وفلسفته فيه من قصيدته (بعد سهر) التى بعد فيه عن حبيبته مادة ولكنه أفنى فيها حبه معنى وروحا ، ولعل ذلك الشعر قد أذكى لواعج نفسه المرهفه فراح يبث حبيبته شوقه وهيامه مؤكدا لها أن هذا الشوق يصـــدر من روحه لا من عالم التراب فجاءت أبياته نفثه محب صـــادق يرى الدنيا بعين حبيبه ، عزف فيها على أوتار قلبه المواز لحنا رائع النغم حسن الوقع . يقول الشاعر « قرنه » : ـ

انى ذكرتـك والأكوان نائمـــة ... فى الليل من بعد طول الأين والتعب
والنجـم ينظر فى أطباقـه مـــللا ... يعاد يقفـــل عينيه من النصـــب
والمنخيل به همس ووســـوسـة ... يبدو كوسوسـة المغرور من طرب
يبيت حيران فى الظلماء متشـــحا ... كأنه الجن فى جلبابه الشـــحب
كأن فيه أنينـــا طال مسـتمعه ... حتى خبا مللا فى جـــذعه الخرب
وفى ذرا الأفق أنـــوار مبـــدده ... وفى السماء تهاويل من السســحب
فقلت هل تذكرين اليوم أن هنـــا ... قلبـــا يراعيك فى جد وفى لعب
كأنما فيه أمـــــواج تدافعـه ... فليس يغفو على خـــوف ولا رهب

يا طالما صـــــاح تحنانا وأرقه ... وجه تنقب بالأنـــوار كالحجب
هذا هو المعبد القـــدسى راعيه ... ناجاك حبا فلم يسمع ولم يجب

وبعد تلك المناجاة الرائعة التى أسهر فيها ليله ، وأســـهر فيها الطبيعة معه بشهدها على نجواه وتحنانه ، يصعد بنا الى عوالم خياله التى نرينا منه فلكيا فى مرصد ، يرصد نجما بعيد المنال ، لا ينال منه سوى تلك اللمحات التى يومض بها مختالا فى عليائه ، وهذا النجم لا يـدرى بسهر هذا الفلكى الراصد ولعلها صورة مبتكرة نفذ اليها خيال الشاعر المتقد لوعة وشوقا الى حبيبته البعيدة القريبة يقول : ـ

أتذكرين فتى لـــم ينـال تـذكرة ... لحســـنك الغض مختالا على كثب
معرق السحر ـ كالدنيا ـ موحده ... يختال فى منظر من حســنه عجب
بل انه من جمال الخلد مرتفـــع ... بالروح فوق مناحى دهـرنا الخرب
أظل أرنو وترنو الروح حالمـــة ... والكون أطفر من بشر ومن طرب
كم أبعث الوهم من فكرى وأخلقه ... فلا ينزال على البلـوى
كم لمحة قلت عـــذا البشر مرتسما ... ولمحة قلت عـذى لمحة الغضـب
كأننى فلـــكى بين مرصـــــده ... يظل يرصـــد نجمـــا غير مقترب
بدت له منـــه أنوار فقـــال هنا ... قلب يحن ، فناجـــاه فلـم يجب

كم قد نشدتك حسنا منذ أن نظرت ... عينى جمال الضحى والبدر والشهب
فقلت أين مثـــال الحسن أجمعه ... فأحسن غاية ما أرجوه من أدب
هو الثواب الذى نسـعى لجنتـه ... راضين بالجهـــد والآلام والنصب
فى عـالم بحجـــاب الوهم منتقب ... الجلد أشـــبه شىء فيـه بالعب
فى عالم زائف كم رحت أغضـــبه ... وليس يصغى الى ذمى ولا غضبى
وكان وجهك فى الآلام يخطـر لى ... كالبدر خلف سواد الليل والسحب
حتى برزت فحى القلب منتشـــيا ... كقطرة الطل تحيى ذابل القضـب
صحت أمانى من اغفائهـــا طربا ... وغردت لك بعـد الصمت والتعب

كطلعه الشمس حينها صوادحها بالف لحن كالحان المنى عجب

شهر مضى لا يصد القلب مبعده سلمان مقترب أم غير مقترب
اغضب العابد السامى ويسخطه أن الاله يغشى عبده بالحجب
ان كنت قد عدت عن آماق مغربه فان روحك عنى غير مغتربه
فانما الشاعر الروحى مفقده من غاب الروح لا من غاب المتربه
لا أنظر الجسم لكن استبين به معالم الروح لم تبرز ولم تغب(١)

واذا كان لكل شاعر خيط دقيق يربط جوانب مشاعره ، ويكون علامة عليها حين تنتهى للناس دافقة فياضة فان قارىء ديوان شاعرنا « محمد فريد ابو حديد » يلحظ ان هذا الخيط ليس دقيقا بل يتجول من بدايته فى ديوانه لأول قصائد ديوانه الى منتهاها . وهذا الخيط الرابط لفكره هو الثورة التى تكمن فى القلق والحيرة والتمرد على ظواهر الأشياء التى يراها غير ما يراها الناس .

فهو لا يقتنع بظواهر الحقائق بل يحاول فى أناة ان يضرب عليها بمعاول فكره ليسبر غورها و يحيط بها لتمام عشاريتها .

ولم يكن الشاعر قريد يضرب بمعول فكره فى ميدان واحد من ميادين الحقيقة أو يحاول ذلك تجاه ظاهرة واحدة من ظواهر الكون والحياة ولكنه كان يحاول ذلك فى ميدان الحياة الواسع . ولعلك صدقنى القارىء قد رأيت ملامح هذه الثورة المتمثلة فى الحيرة والقلق والتمرد والشك من خلال رؤية الشاعر الفنية لشاعره تجاه الوطن وتجاه الطبيعة والحب بل والعبادة أيضا .

وقد استخدم الشاعر لاظهار قلقه وثورته وتمرده حشدا هائلا من الألفاظ والعبارة الموحية المعبرة والتى سنحاول أن نستعرض ملامح دالة منها على صدق ما نقول .

واذا كان عنوان قصيدة الشاعر ضوء لمحتواها أو الماحة على مكنونها فان فى عنوان قصائد الشاعر قرنه خير دليل على ظاهرة الثورة المتمثله فى الحيرة والقلق والتمرد تجاه حقائق الكون ومظاهر الطبيعة وضمن عناوين قصائد الشاعر (الى الوجود ـ أنا والحياة ـ السر ـ غاية الكون الى النجوم ـ الى نسيم الليل ـ فى تيه الحياه ـ (١) شوق الى مجهول ٠

ـ على الصحراء ـ لاروح ولا جسم ـ قلب الشاعر ـ ليلة عذاب ـ الألم ـ دمعة عاطلة ـ النفوس المظلمة ـ وحدى ـ شكوى ابليس ـ الجوح القديم ـ من ميدان الموت ـ وداعا ـ البوق ـ انشودة العبيد ـ الصوفية الزنفة ـ خواطر على النيل ـ محراب الاثم ـ الوهم ـ ليلة حمراء ـ ليلة السفر ـ نظرة المكون ـ الخمرة الالهية ـ جلال الصمت ـ مافوق الحياة ـ الى الضياء ـ فى المعبد ـ العقاد على الصحراء) ٠

ولعل فى عنوان الديوان (فى تيه الحياة) مايكشف عن عجز الشاعر فى فهم الحقائق والظواهر حين يصور لنا نفسه أمام تيه الحياة الواسع الأفق المتشعب السراديب وحيدا ضعيفا ٠

ولعل القاموس الشعرى للشاعر ، وما انتقاه من ألفاظ لبث مشاعره يكشف كذلك الثورة المتمثلة فى الحيرة والقلق والتمرد ومحاولات الكشف المستمرة لحقائق المستورات والمحجوبات فى الكون والحياة ٠

ولعل ألفاظ (الكون ـ الوجود ـ الحياة ـ الخلد ـ السرمد ـ الغامض المحجب ـ السر الدجى ـ الظلمة الغياهب ـ النور الضياء ـ المجاهل ـ الرؤى ـ السعادة ـ الشقاء ـ الحب ـ الروح ـ الجسم ـ الأوهام ـ

---

(١) جعل الشاعر هذا العنوان الثلاثة من قصائده فى الديوان تختلف فيما بينها طولا ووزنا ٠

الأحلام ـ القضاء ـ الخيال ـ القفار ـ الصحراء ـ المورد ـ القضاء ـ الآمال ـ السراب ـ الأباطيل ـ الخداع ـ الضلال ـ الافك ـ الأصداء ـ الصدى ـ السرى . لعل هذه الألفاظ ومشتقاتها هى أكثر ألالفاظ دورانا على لسان الشاعر مما يؤكد ما سبق أن ذهبنا اليه ·

ولعل القارىء يدرك معنا أيضا هذه الثورة فى تساؤل الشاعر دوما عن سر الغيب وعجزه عن ادراك كنهه وكشف حجبه ، وما يخبئه القدر للانسان الذى يعتبر ممثلا يؤدى دورا على مسرح الكون العظيم ، هذا الدور الذى ليس له فيه الا الاداء دون فهم أو تفكير·

يقول فى قصيدته على الصحراء : ـ

وتيه بحار الظلمن فى ظلماته	والروح فيه جيئة وذهوب
تضل خطا الليل المكينة عنده	وبطرقه الاصباح وهو عيوب
يسد علينا الصمت فيه زواقه	وتخشع فيه السن وقلوب
عرفت منا سر الحياة ولبها	بأحلامها تحلو الدنا وتطيب
وان من الأوهام أن ترد الظما	وفى الوهم عدى صادق وطبيب
وان وراء الجسم دنيا طليقة	يطيف عليها الوهم وهو طروب

ولعله ان اعتبر أن سر الحياة انما يكمن فى هذه الأحلام وذلك الوهم الذى يطوف بالأجسام فحسبها لا يكون قد اكتشف سرا بقدر ما يكون قد زادنا غموضا فى هذا الفهم وذلك الكشف ·

وفى صوره جميلة يرسم الشاعر بريشته ملامح للبشر لا تكاد ترى الا ضلالا لسراب ـ ان صح هذا التعبير ـ وذلك حين يعبر عن الروح والجسم ـ أصل مكونات البشر ـ أنها ضياء لا تكاد تقبض عليه بيد وهى كأمواج البحر تنتقل فى طول البحر وعرضه دون أن نستطيع التمييز بينها أو فصلها أو محاولة تجزئتها لفحص محتواها يقول الشاعر :

لا روح ترسف بين الجسم كاسفة ولا جسوم على الأرواح تشتمل
وانما نحن مسرى قوة خلدت على حقيقتها الأستار والشدال
كالبحر يرسل من أمواجه عذرا تظل فى العالم الأرضى تنتقل

وصورة الشاعر فى رسم مسرى الأرواح والأجساد منذ الخليقة بصورة الموج المتواصل الذى لا تستطيع قبضه بيدك أو عزله عن بعضه تعبر جد جديدة نفذ اليها خيال خصيب ·

واذا صدق قول الشاعر : ـ

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقارة ينعم

فان الشاعر قرنه كان شقيا أبدا فى نعيم ، لان عقله لم يكن يهدأ ولا يستقر وهو يحس نفسه روحا شفافة مضيئة من عالم خالد نورانى قد سجنت وهى تلبس ثوب الجسد لتعيش فى عالم أرضى تنتابه الاحزان والاطماع والحروب وهو يتساءل عن كل ذلك فى تقديمه لقصيدته ·

أمنيه فى قوله :

« اذا شقى الفرد فى الحياة فكل عزائه أن يسعد جيله ، واذا شقى الجيل فعزاؤه أنه سيضيف لبنة فى سبيل غاية الحياة المحجوبة ، ولكن ما هى هذه الغاية المحجوبة ؟ أهى الكمال ؟ ان الحياة لن تبلغه ·

مهما جدت فى السير لأن الموت أسرع لها من ذلك الكمال ، ولان الكمال نفسه عدم مطلق ، لأن فيه انعدام النقص ، وانعدام الآمال التى هى كل دوافع الحياة أم لاغاية هناك ولا كمال وانما هى حياة متصلة ايامها لاتكمل من ناحية حتى تنقص من ناحية أخرى (وهكذا تسير) الى ماشاء الله فى طريق الأبد لمحجوب وما دام الكمال ممتنعا والغاية معدومة فغم اذن

شـــقاء الناس جيلا بعد جيل والآم الكون فردا بعد فرد ؟ وفيم اذن هـذا الرقى الزائف الذى خضب بدماء المعارك وبنى بجماجم المقتولين كل ذلك فى سبيل لا شىء ٠

يقول فى أمنيته الحائرة القلقة :

ليت عنـــدى فأس جبـار له ... قـوة فقيس من عزم القضـــاء
لهدمت الأرض من أقطـــارها ... وتطلعت الى هـــدم السمـــاء
طال هذا السخف بالكون ولا ... كف تمحوه سوى كف القضـــاء
ان يكـن مهما تراخى فانيـا ... فعلام الكدح فيه والشـــقاء

ولا نكاد تكف هذه الاسئلة الحائرة فى طول الديوان وعرضـــه مما يكشف بجلاء عن هم الشاعر لحمل روحه فى جسده الذى ثقله فى هـذا الكون المغلف أبدا بالسحر والسر ٠

وقد كان الشاعر يطلب دوما مافوق الحياة وما بعدها حيث كأس النعيم الخالد السرمدية أن تعلل من كأس الحياة الذى لم يرو نفســـه الصادية يقول فى قصيدته (مانوق الحياة) : ـ

تعللت من كأس الحياة وخمرها ... فما رويت نفسى ولا طاب مشربى
واعرض عن كأس الغنـاء حريره ... فى العين من عمى ولا الموت فاربى
ولكن (مانوق الحياة) وان نأى ... مرامى (مانوق المدنا) متطلبى
ارد قيود المجـــد والحب حرة ... واحقر قيدا من طعـــام ومشرب
فلا تعـذلونا أن تعـــذب دوحنا ... فاعـذب عيش عيشـــه المتعذب
وان كانت النعماء فى العين صاغرا ... فلا كانت النعماء فى العين مأربى

ولعل هذا القول يوضح لنا أن الشاعر كان سعيدا بهذا القلق وتلك الحيرة باعتبار أن الألم هو أصل لكل سعادة ولذة ٠

ولعل قصيدته الثانية والتى تحمل عنوان (فى تيه الحياة) تلخص لنا هذه النظرة التى نطل على القارىء من أول قراءته لقصائد الديوان حيث الشاعر مهتم ابدا متسائل حائر دوما على الحياة والاحياء حيث المرح الكبير الذى طال أسدال الستار عليه ٠

يقول الشاعر :

لم أستفق من مسراتى واشجانى ... الا على ظلمات التيه تغشانى
وما تصرم لحن العمر من أذنى ... فكيف أبعدت عن عودى وأحانى
قد كان بين ضلوعى خافق عمرد ... مشيت بين أفراحى وأحزانى
يهوى الجمال ويحيى فى خمائله ... ويعشق الحب فى سر واعلان
فاصبح الآن بين التيه منفردا ... مشردا بين آكام ووديان
اذا تلفت حولى لا أرى أحدا ... وحولى الصحب من أهلى واخدانى
كأننى ميت فى القبر ليس به ... الا بعثه أفكار واشجان
وسرت فى التيه لا أعفو الى احد ... كخاطر فى فيافى الفكر حيران
كفكرة فى سواد القلب حائله ... لا تستقر على شك وايمان
يا أيها الناس مادا فى تناحركم ... على حطام بدنيا وانكم فان ؟
أنتم لعمرى آلات تحركم ... أوهامكم من سرات واحزان

يا واحه بين تيه الكون ناضرة ... لم أحظ منها بازهار وافنان
من أعين الحب سفياها ومغربها ... ومن دماء فؤاد المغرم العانى
فيها الحياة حياة القلب ما احتملت ... فيه الخوالج من بشر واشجان
يامحيى الروح ان الروح قد فنيت ... فانشر حياتك فى روحى ووجدانى
يا أيها الحب ان القلب ذو شغف ... لسحر نور الشمس منك فتان
الروح فى قفص الجثمان كاسفة ... والحب يطلقها من غل جثمان
والروح فى أرض دنيانا مقيدة ... والحب يسمو بها فى عالم كان
ليس التآلف فى نفسين منقصة ... وانما النقص فى بعض وخذلان
الحب عنوان ما فى الكون من أمل ... الى الكمال بهذا العالم الفانى

لولاه ما عرف الانسـان من قدم ما شانه من ضـلالات ونقصـان
لاتنكروا الحب لولا الحب لانطمست هذه الفضـائل من بر وايمـان
لو أنه كمم فى الدنيـا لما وجدت تلك النقـائص من بغض وعدوان

ولعل الشاعر قد أضاف باشعاره هذه الى تراث الشعر الفلسفى الصوفى العربى بعدا جديدا حاول الشاعر فيه أن يبحث عن ذاته وسط تيه الحياه اللا نهائى وفى خلال سروه الجاهد وعدوه المستمر فى هذا التيه تعرض بالتفسير والتوضيح لشتى مظاهر الكون ومناحى الحياة حاملا فى خلال ذلك كله قلمه وريشته ٠

ولعل الشاعر قرنه فى ديوانه المحجب (فى تيه الحياة) يعبر شاعدا على عصره باعتبار أن الشـعر مرآه للبيئه تعكس الألوان والظلال لوجوه الحياه عليها ٠ واذا كان ذلك كذلك فان الشاعر (قرنه) يعتبر فى ديوانه عن القلق والتمرد والحيرة الذى كان يعيش فى خصمه المصريون فى أواخر حكم الاحتلال الانجليزى لمصر ويعبر فى جلاء كذلك عن طبيعة هذا الشعب السـمحه النقية التى لا تستسلم أبدا فهى دائما تقاوم وهى دائما تتمرد حتى تتسم نسائم الاستقلال والحرية ٠

ولعل هذه الدراسة القصيرة المثيرة عن روح شفافة هائمة تكون نواة لرؤية هذا الديوان للنور ليضع القارىء يده على وثيقة أدبية لم تعرف الى الذيوع سبيلا لتضيف الى التراث الفكرى لنية جديدة تسـاهم فى البناء لصرحه الشامخ ٠

وبعد : صديقى القارىء :

لعل هذه الاطلالة وتلك السـياحة فى ديوان شـاعرنا « قرنه » قد اضاءت ظلا من جوانب ديوان مطمور ونتاج شعرى مغمور لروح شفافة

شاعرة ، وأذاحت بعضا من غيار علا وريقات تنبض بقلب عاشـــق محب ونفثت نفثة غيور على تراث طواه النسيان حين لم يكتب له الذيوع ولم يجد سبيلا الى النشر لسـبب أو لآخر ، فالأدب الحى يفرض نفســه والروح الانسانية متصلة مهما فنى جسدها وطواه التراث ، وصدق الشاعر محمود غنيم حين قال : ـ

أقسمت ما نال البلى من شـــاعر يحيا حيـــاة الخلد فى ديوانه

واعل كلماتنا التى سبقت تتحول الى رحمات على روح شـاعرنا يجد يردها فيبتعش بها بعد ما هام فى تيه الحياة ما شاء له أن يهيم .

دكتور

على الخطيب الشطورى